

دكتور / بدر عبد الحميد هميسه

١٤٣١ هـ = ٢٠١٠ م

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الكريم الوهَّاب، الرحيم التَّواب، غافر الذنب، وقابل التوب، شديد العقـاب، يحـبُّ التـوَّابين والمتطهِّـرين، ويغفـرُ للمُنيبـين والمستغفرين، ويقيلُ عثرات العاثرين، ويقبلُ اعتـذارَ المعتـذرين، وأشهدُ أن لا إله إلا الله ولي الصَّالحين، وأشـهدُ أنَّ مُحمَّـداً عبـدُهُ ورسولُهُ، وصفيُّهُ من خلقِهِ وخليلُهُ، خاتمُ الأنبياء، وسيِّدُ الأصـفياءِ، وعلى آلِهِ وصحبِهِ الأتقياء ، ومن سار على دربهم من المخلـصين الخلصاء ، المصفين الحنفاء .

وبعد .. ؛

فإن كل إنسان منا تمر به ثلاث ليال مهمات عظيمات تمثل منعطفـاً مهماً في حياته، بل ويتوقف عليهن مستقبله القريب ومستقبله البعيد ، وهذه الليالي الثلاث التي تمر بك هي :

١- الليلة الاولى : ليلة ميلادك :

وليلة ميلادك هي الليلة التي تأتي فيها إلى الدنيا باكياً ، لكـن مـن حولك يكونون في سعادة وسرور ، وفرح وحبور ، وتأتي إلى الحياة لا تدري شيئاً عنها ، ولا تقدر على الكسب والعيش ، ولا تـستطيع دفع الضر عن نفسك ، قال تعالى : " وَاللَّهُ أَخْـرَجَكُمْ مِـنْ بُطُـونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُـمْ تَشْكُرُونَ (٧٨) **سورة النحل** .

قال الشاعر:

ولدتك إذ ولدتك أمك باكياً * * * والقوم حولك يضحكون سروراً
فاعمل ليوم أن تكون إذا بكوا * * * في يوم موتك ضاحكاً مسروراً

لكن الله الكريم يمتن عليك بنعم كثيرة لا تعد ولا تحصى ، فكما امتن عليك قبل خلقك فقد تتابعت عليك نعمه منذ أصبحت جنيناً في بطن أمك ، ولقد جاء في بعض الآثار: (يا ابن آدم.. جعلتك في بطن أمك.. وغشيت وجهك بغشاء لئيلا تنفر من الرحم.. وجعلت وجهك إلى ظهر أمك لئلا تؤذيك رائحة الطعام.. وجعلت لك متكأً عن يمينك ومتكأً عن شمالك.. فأما الذي عن يمينك فالكبد.. وأما الذي عن شمالك فالطحال.. وعلمتك القيام والقعود في بطن أمك.. فهل يقدر على ذلك غيري؟ فلما أن تمّت مدتك.. وأوحيت إلى الملك بالأرحام أن يخرجك، فأخرجك على ريشة من جناحك.. لا لك سن تقطع.. ولا يد تبطش.. ولا قدم تسعى.. فأنبعث لك عرقين رقيقين في صدر أمك يجريان لبناً خالصاً.. حاراً في الشتاء.. بارداً في الصيف.. وألقيت محبتك في قلب أبويك.. فلا يشبعان حتى تشبع.. ولا يرقدان حتى ترقد..فلما قوي ظهرك وأشتد أزرك.. بارزتني بالمعاصي في خلواتك.. ولم تستحي مني.. ومع هذا.. إن دعوتني أجبتك.. وإن سألتني أعطيتك.. وإن تبت لي قبلتك..).**أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣٩٩/١٠).**

فمن نعم الله تعالى عليك أنه أودع الحنان والرحمة في قلب والديك ، فهما قبل مولدك يسألان الله الذرية الطيبة الصالحة ، قال تعالى : "

رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامــاً" **(الفرقان: ٧٤)**.

ثم فرحهما بمقدمك وحرصهما على أن يقرعا سمعك ابتــداءً بنــداء التوحيد لتبدأ بتنفيذ العهد الذي أخذه الله تعالى من بينــي آدم مــن ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم " وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِــن بَنِــي آدَمَ مِــن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا " **الأعراف: ١٧٣**.

ثم يختاران لك الاسم الحسن فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قالوا يا رسول الله قد علمنا ماحق الوالد فما حق الولد ؟ قال : ((أن يحسن اسمه ، ويحــسن أدبــه ". **رواه البيهقي عن ابن عباس (فيض القدير ٣/٣٩٤)**.

ثم يكرمانك بالعقيقة لإعلان السعادة والفــرح والبــشر بمقــدمك ، وتكون العقيقة بذبح شاة أو أكثر عن المولود يوم أسبوعه ، لإطعام الأهل والأقارب والجيران بهذه المناسبة السعيدة وتقديم الــشكر لله تعالى على فضله ونعمه .

وبعدها يرعيانك في مأكلك ومشربك وملبسك لتكون صحيح العقــل ، سوي الجسم ، سليم الحواس ، فإن حياة الإنسان كل لا يتجزأ ، وإن حياته الجسمية في الصغر مؤشرا إلى حالته في الكبر ، وإن العقــل السليم في الجسم السليم والإسلام يريد منا أن نربي أولادنــا علــى القوة والنشاط ، يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((المؤمن

القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف ، وفي كل خير))
رواه مسلم وابن ماجه وأحمد عن أبي هريرة مرفوعا (الفتح الكبير ٣/٣٥٠، صحيح مسلم ٣١٥/١٦).

وتتعهدك أمك بالرضاع والحنان ، والأب بالرعاية والمسؤولية والتربية .
قال الشاعر :

قَدْ يَنفَعُ الأَدَبُ الأَحْداثَ في مَهَلٍ * وَلَيْسَ يَنفَعُ بَعْدَ الكَبْرَةِ الأَدَبُ**
إنَّ الغُصُونَ إذا قَوَّمْتَهَا اعْتَدَلَتْ * ولَنْ تَلِينَ إذا قَوَّمْتَ ﻫ الخَشَبُ**

هذه كله يتبع ليلة مولدك فأنعم به من ليلة وبا سعد من حولك إذا سعدوا بك ويا شقاءهم إذا شقوا بك .

٢- الليلة الثانية : ليلة زفافك :

والليلة الثانية من لياليك في هذه الحياة ليلة زفافك ، فأنعم بها وأهنأ من ليلة ، فهي ليلة من أجمل ليالي العمر وهي ليلة طاعة وعبادة لا ليلة فجور ومعصية كما يفعل البعض ، ولا يفهم البعض من قولي ليلة طاعة وعبادة أنها ليلة اعتكاف وتهجد وصلاة ، بل هي ليلة إحياء سنة من سنن الفطرة وسنة من سنن الإسلام ، قال تعالى : " وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٢١) **سورة الروم.**
قال النبي صلى الله عليه وسلم فيها : " وَفِي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ ، قَالُوا : يَا رَسُولَ اللهِ ، أَيَأْتِي أَحَدُنَا شَهْوَتَهُ وَيَكُونُ لَهُ فِيهَا أَجْرٌ ؟ قَالَ

: أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فِي حَرَامٍ ، أَكَانَ عَلَيْهِ فِيهَا وِزْرٌ ؟ فَكَذَلِكَ إِذَا وَضَعَهَا فِي الْحَلاَلِ كَانَ لَهُ أَجْرٌ. **أخرجه أحمد ١٦٧/٥(٢١٨٠٥) و"البُخاري" في "الأدب المفرد" ٢٢٧ و"مسلم" ٨٣/٣(٢٣٩٢).**

فهي ليلة السكن والمودة والرحمة ، وفي تلك الليلة تسعد ويسعد من حولك ، لذا تستحب الوليمة ودعوة الناس للمشاركة في عرسك ، فعن حُمَيْدٍ الطَّوِيلِ ، أَنَّهُ سَمِعَ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ يَقُولُ:لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم الْمَدِينَةَ ، أَسْهَمَ النَّاسُ الْمَنَازِلَ ، فَطَارَ سَهْمُ عَبْدِ الرَّحْمَانِ بْنِ عَوْفٍ عَلَى سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ ، فَقَالَ لَهُ سَعْدٌ : تَعَالَ حَتَّى أُقَاسِمَكَ مَالِي ، وَأَنْزِلَ لَكَ عَنْ أَيِّ امْرَأَتَيَّ شِئْتَ ، فَأَكْفِيكَ الْعَمَلَ . فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَانِ بْنُ عَوْفٍ : بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِي أَهْلِكَ وَمَالِكَ ، دُلُّونِي عَلَى السُّوقِ ، فَخَرَجَ فَأَصَابَ شَيْئًا ، فَخَطَبَ امْرَأَةً فَتَزَوَّجَهَا ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : عَلَى كَمْ تَزَوَّجْتَهَا ؟ قَالَ : عَلَى نَوَاةٍ مِنْ ذَهَبٍ . قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : أَوْلِمْ وَلَوْ بِشَاةٍ. **أخرجه مالك "الموطأ" ١٥٧٠ و"أحمد" ١٩٠/٣(١٣٠٠٧) و"البُخَارِي" ٢٠٤٩ التِّرْمِذِيّ" ١٩٣٣ و"النَّسائي" ١١٩/٦.**

ورخص الإسلام في العرس بإعلان النكاح بالضرب على الدف فقط والغناء المباح الذي ليس فيه وصف الجمال وذكر الفجور، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ حَاطِبٍ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم:فَصْلُ مَا بَيْنَ الْحَلاَلِ وَالْحَرَامِ : الدُّفُّ ، وَالصَّوْتُ ، فِي النِّكَاحِ . **أخرجه أحمد ٤١٨/٣(١٥٥٣٠) و"ابن ماجة"١٨٩٦ و"التِّرمِذي"١٠٨٨ و"النَّسائي"١٢٧/٦.**

عنْ جَابِرٍ ، قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم لِعَائِشَةَ : أَهَدَيْتُمْ الْجَارِيَةَ إِلَى بَيْتِهَا ؟ قَالَتْ : نَعَمْ ، قَالَ : فَهَلاَّ بَعَثْتُمْ مَعَهَا مَنْ يُغَنِّيهِمْ ، يَقُولُ:أَتَيْنَاكُمْ أَتَيْنَاكُمْ فَحَيُّونَا نُحَيَّاكُمْ ، فَإِنَّ الأَنْصَارَ قَوْمٌ فِيهِمْ غَزَلٌ **.أخرجه أحمد ٣٩١/٣(١٥٢٧٩) و"النَّسائي" ، في "الكبرى" ٥٥٤٠ .**

وفي تلك الليلة التي تبدأ فيها بوضع يدك اليمنى على مقدمة رأس زوجك وتدعو لها ،فعَنْ شُعَيْبٍ ، عَنْ جَدِّهِ ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم ، قَالَ:إِذَا تَزَوَّجَ أَحَدُكُمُ امْرَأَةً ، أَوِ اشْتَرَى خَادِمًا ، فَلْيَقُلِ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَهَا ، وَخَيْرَ مَا جَبَلْتَهَا عَلَيْهِ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا ، وَمِنْ شَرِّ مَا جَبَلْتَهَا عَلَيْهِ . وَإِذَا اشْتَرَى بَعِيرًا ، فَلْيَأْخُذْ بِذِرْوَةِ سَنَامِهِ ، وَلْيَقُلْ مِثْلَ ذَلِكَ. قَالَ أَبُو دَاوُدَ : زَادَ أَبُو سَعِيدٍ : ثُمَّ لْيَأْخُذْ بِنَاصِيَتِهَا ، وَلْيَدْعُ بِالْبَرَكَةِ ، فِي الْمَرْأَةِ ، وَالْخَادِمِ . **أخرجه البخاري في "خلق أفعال العباد" ٣٧ و"أبو داود" ٢١٦٠ و"ابن ماجة" ١٩١٨ و"النَّسائي" ، في "عمل اليوم والليلة" ٢٤٠.**

ثم يستحب لكما أن تصليا ركعتين معاً لما روي عن ابن مسعود أن النبي قال: " إذا دخلت المرأة على زوجها يقوم الرجل فتقوم من خلفه فيصليان ركعتين ويقول: اللهم بارك لي في أهلي وبارك لأهلي فيّ اللهم أرزقهم مني وارزقني منهم، اللهم اجمع بيننا ما جمعت في خير وفرق بيننا إذا فرقت في خير ". **أخرجه الطبراني وصححه الألباني آداب الزفاف ٩٥.**

ثم يسن لكما شرب إناءين من اللبن ، فقد روي أَنَّ النبي صلى الله عليه وسلم حينما بنى بعائشة رضي الله عنها فَجَاءَ فَجَلَسَ إِلَى جَنْبِهَا ، فَأُتِيَ بِعُسٍّ لَبَنٍ ، فَشَرِبَ ، ثُمَّ نَاوَلَهَا النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم فَخَفَضَتْ رَأْسَهَا وَاسْتَحْيَتْ . قَالَتْ: أَسْمَاءُ: فَانْتَهَرْتُهَا وَقُلْتُ لَهَا: خُذِي مِنْ يَدِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم . قالت: فَأَخَذَتْ فَشَرِبَتْ شَيْئًا ، ثُمَّ قَالَ لَهَا النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: أَعْطِي تِرْبَكِ . قَالَتْ أَسْمَاءُ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله ، بَلْ خُذْهُ فَاشْرَبْ مِنْهُ ثُمَّ نَاوِلْنِيهِ مِنْ يَدِكَ ، فَأَخَذَهُ فَشَرِبَ مِنْهُ ثُمَّ نَاوَلَنِيهِ . قالت: فَجَلَسْتُ ثُمَّ وَضَعْتُهُ عَلَى رُكْبَتِي ، ثُمَّ طَفِقْتُ أُدِيرُهُ وَأَتْبَعُهُ بِشَفَتَيَّ ، لأُصِيبَ مِنْهُ مَشْرَبَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم . ثُمَّ قَالَ لِنِسْوَةٍ عِنْدِي: نَاوِلِيهِنَّ . فَقُلْنَ: لاَ نَشْتَهِيهِ . فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: لاَ تَجْمَعْنَ جُوعًا وَكَذِبًا . فَهَلْ أَنْتِ مُنْتَهِيَةٌ أَنْ تَقُولِي لاَ أَشْتَهِيهِ : فَقُلْتُ: أَيْ أُمَّهْ ، لاَ أَعُودُ أَبَدًا. **أخرجه أحمد ٤٥٣/٦ و"ابن ماجة" ٣٢٩٨.**

وهذا فيه نوع من الايناس والملاطفة للزوجة ، ثم عليك بهذا الدعاء إذا أتيتك أهلك ، " اللَّهُمَّ جَنِّبْنَا الشَّيْطَانَ ، وَجَنِّبِ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا. فَإِنَّهُ إِنْ يُقَدَّرْ بَيْنَهُمَا وَلَدٌ فِي ذَلِكَ لَمْ يَضُرُّهُ شَيْطَانٌ أَبَدًا. **أخرجه "أحمد" ٢١١/٦(١٨٦٧) و"الدارمي" ٢٢١٢ و"البخاري" ٤٨/١(١٤١).**

وعليك قبل الجماع أن تمازحها وتلاعبها ولا تقع عليها كما يقع البعير على أنثاه ، بل عليك بالملاطفة .

وتجنب ما حرم الله تعالى في الجماع ، كأن تأتي امرأتك في دبرها ،أو تجامعها حال حيضها ، لقول الله تعالى قال تعالى : " نِسَاؤُكُمْ

حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (٢٢٣).**سورة البقرة**. ، وقوله تعالى : " وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ (٢٢٢) **سورة البقرة** .

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم:(مَنْ أَتَى حَائِضًا ، أَوِ امْرَأَةً فِي دُبُرِهَا ، أَوْ كَاهِنًا ، فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ ، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم.)".

– وفي رواية : "(مَنْ أَتَى حَائِضًا ، أَوِ امْرَأَةً فِي دُبُرِهَا ، فَقَدْ كَفَرَ.)".**أخرجه أحمد ٤٠٨/٢(٩٢٧٩) و((أبو داود)) ٣٩٠٤ و((ابن ماجة)) ٦٣٩ و((التِّرمِذي)) ١٣٥ .**

وعَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم ، قَالَ:لاَ يَنْظُرُ اللهُ ، عَزَّ وَجَلَّ ، إِلَى رَجُلٍ جَامَعَ امْرَأَتَهُ فِي دُبُرِهَا..**أخرجه أحمد ٢١٣/٥ والنَّسائِي ، في "الكبرى" ٨٩٤٦ .**

ثم احذرا أن تنشرا أسرار المعاشرة الزوجية ، فعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَعْدٍ ، قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ ، يَقُولُ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم:إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ الأَمَانَةِ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الرَّجُلَ يُفْضِي إِلَى امْرَأَتِهِ وَتُفْضِي إِلَيْهِ ثُمَّ يَنْشُرُ سِرَّهَا.. **أخرجه أحمد ٦٩/٣(١١٦٧٨) و"مسلم" ١٥٧/٤(٣٥٣٢) و"أبو داود" ٤٨٧٠ .**

ثم أوصها بنفسها خيراً وبك وبأهلك خيراً كما أوصى الشافعي زوجته فقال :

خذي العَفو منى تستديمي مودتي * * ولا تنطقي في سَورَتى حين اغضبُ
ولا تنقريني نقركِ الدفَ مرةً * * فإنك لا تدرين كيف الْمغّيبُ
ولا تكثري الشكوى فتذهب بالقوى * * ويأباك قلبي والقلوب تقلبُ
فإني رأيتُ الحبَ في القلبِ والأذى * * إذا اجتمعا لم يلبث الحبُ يذهبُ

جعلكما الله من السعداء وبارك لكما وبارك عليكما وجمع بينكما في خير ورزقكما الذرية الصالحة وجعل ليلة زفافكما أهنأ ليالي العمر .

٣- الليلة الثالثة : ليلية وفاتك :

وأما الليلة الثالثة فهي الليلة التي تفارق فيها هذه الحياة إلى حياة أخرى ، هي الليلة التي توضع فيها في قبرك ويتولى عنك الأهل والخلان والأحباب والأموال والمناصب ، ويبقى معك عملك الذي قدمته ، قال تعالى : " يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرَاً وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَداً بَعِيداً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ" . **سورة آل عمران:٣٠.**

فتخيل نفسك وأنت في قبرك وحيداً فريداً ، لا أنيس ولا جليس ولا رفيق ولا صاحب ولا زوجة ولا والد ولا والدة ولا ولد ولا أعوان ولا حراس ، وقد جردت من الثياب وتوسدت التراب، وفارقت الأهل والأحباب وتركت الأصحاب ، قال سبحانه ": ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلاهُمُ الْحَقِّ أَلا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ". **سورة الأنعام:٦٢.**

قال الشاعر :

فارقت موضع مرقدي * يوماً ففارقني السكون**
القبر أول ليلة * بالله قل ما يكون؟**

كَانَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ ، إِذَا وَقَفَ عَلَى قَبْرٍ ، يَبْكِي حَتَّى يَبُلَّ لِحْيَتَــهُ ، فَقِيلَ لَهُ : تَذْكُرُ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ وَلاَ تَبْكِي ، وَتَبْكِي مِنْ هَذَا ؟ قَــالَ : إِنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ:إِنَّ الْقَبْرَ أَوَّلُ مَنَازِلِ الآخِــرَةِ ، فَإِنْ نَجَا مِنْهُ ، فَمَا بَعْدَهُ أَيْسَرُ مِنْهُ ، وَإِنْ لَمْ يَنْجُ مِنْهُ ، فَمَا بَعْدَهُ أَشَدُّ مِنْهُ.قَالَ : وَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم:مَا رَأَيْتُ مَنْظَرًا قَطُّ ، إِلاَّ وَالْقَبْرُ أَفْظَعُ مِنْهُ.**أخرجه ابن ماجة (٤٢٦٧) و"التِّرمِذي"٢٣٠٨.**

قال الأَصْمَعِيِّ ؛ قَالَ : بَعَثَ إِلَيَّ هَارُونُ الرَّشِيدُ وَقَدْ زَخْرَفَ مَجَالِــسَهُ وَبَالَغَ فيها وفي بنائها ، وَضَعَ فِيهَا طَعَامًا كَثِيرًا ، ثُمَّ وَجَّهَ إِلَى أَبِــي الْعَتَاهِيَةِ ، فَأَتَاهُ ، فَقَالَ : صِفْ لَنَا مَا نَحْنُ فِيهِ مِنْ نَعِيمِ هَذِهِ الدُّنْيَا ؛ فَأَنْشَأَ يَقُولُ :

عِشْ مَا بَدَا لَكَ سَالِمًا * * * فِي ظِلِّ شَاهِقَةِ الْقُصُورِ

فَقَالَ : أَحْسَنْتَ ! ثُمَّ مَاذَا ؟ فَقَالَ :

يُسْعَى عَلَيْكَ بِمَا اشْتَهَيْتَ * * * لَدَى الرَّوَاحِ وَفِي الْبُكُورِ

فَقَالَ : أَحْسَنْتَ أَيْضًا ! ثُمَّ مَاذَا ؟ فَقَالَ :

فَإِذَا النُّفُوسُ تَقَعْقَعَتْ * * * فِي ضِيقِ حَشْرَجَةِ الصُّدُورِ

فَهُنَاكَ تَعْلَمُ مُوقِنًا * * * مَا كُنْتَ إِلاَّ فِي غُرُورِ

فَبَكَى هَارُونُ ، فَقَالَ الْفَضْلُ بْنُ يَحْيَى : بَعَثَ إِلَيْكَ أَمِيــرُ الْمُــؤْمِنِينَ لِتُسِرَّهُ فَأَحْزَنْتَهُ ! فَقَالَ هَارُونُ : دَعْهُ ؛ فَإِنَّهُ رَآنَا فِي عَمًى فَكَــرِهَ أَنْ يَزِيدَنَا عَمًى .**ابن عبد البر : المجالسة وجواهر العلم ٤/٤٣٧.**

وكان الربيع بن خثيم يتجهز لتلك الليلة ، ويُروى أنَّه حفر في بيتــه حفرة ، فكان إذا وجد في قلبه قساوةً دخل فيها ، وكان يمثل نفــسه

أنَّه قد مات وندم وسأل الرجعة ، فيقول : (رَبِّ ارْجِعُــونِ * لَعَلِّــي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ) ، ثم يجيب نفسه فيقول : قد رجعــت يــا ربيع .

عَنْ أَبِي سَعِيد ، قَالَ:دَخَلَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم مُــصَلاَّهُ ، فَرَأَى نَاسًا كَأَنَّهُمْ يَكْتَشِرُونَ ، قَالَ : أَمَا إِنَّكُمْ لَوْ أَكْثَرْتُمْ ذِكْــرَ هَــاذِمِ اللَّذَّاتِ لَشَغَلَكُمْ عَمَّا أَرَى ، فَأَكْثِرُوا مِنْ ذِكْرِ هَاذِمِ اللَّذَّاتِ ، الْمَــوْتِ ، فَإِنَّهُ لَمْ يَأْتِ عَلَى الْقَبْرِ يَوْمٌ إِلاَّ تَكَلَّمَ فِيهِ ، فَيَقُولُ : أَنَا بَيْتُ الْغُرْبَــةِ ، وَأَنَا بَيْتُ الْوَحْدَةِ ، وَأَنَا بَيْتُ التُّرَابِ ، وَأَنَا بَيْتُ الدُّودِ ، فَإِذَا دُفِنَ الْعَبْدُ الْمُؤْمِنُ ، قَالَ لَهُ الْقَبْرُ : مَرْحَبًا وَأَهْلاً ، أَمَا إِنْ كُنْتَ لأَحَبَّ مَنْ يَمْشِي عَلَى ظَهْرِي إِلَيَّ ، فَإِذْ وُلِّيتُكَ الْيَوْمَ وَصِرْتَ إِلَيَّ ، فَسَتَرَى صَنِيعِي بِكَ ، قَالَ : فَيَتَّسِعُ لَهُ مَدَّ بَصَرِهِ ، وَيُفْتَحُ لَهُ بَابٌ إِلَى الْجَنَّةِ ، وَإِذَا دُفِــنَ الْعَبْدُ الْفَاجِرُ ، أَوِ الْكَافِرُ ، قَالَ لَهُ الْقَبْرُ : لاَ مَرْحَبًا وَلاَ أَهْلاً ، أَمَا إِنْ كُنْتَ لأَبْغَضَ مَنْ يَمْشِي عَلَى ظَهْرِي إِلَيَّ ، فَإِذْ وُلِّيتُكَ الْيَوْمَ وَصِــرْتَ إِلَيَّ ، فَسَتَرَى صَنِيعِي بِكَ ، قَالَ : فَيَلْتَئِمُ عَلَيْهِ حَتَّى تَلْتَقِــيَ عَلَيْــهِ ، وَتَخْتَلِفَ أَضْلاَعُهُ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صــلى الله عليــه وســلم بِأَصَابِعِهِ ، فَأَدْخَلَ بَعْضَهَا فِي جَوْفِ بَعْضٍ ، قَالَ : وَيُقَــيِّضُ اللهُ لَــهُ سَبْعِينَ تِنِّينًا ، لَوْ أَنَّ وَاحِدًا مِنْهَا نَفَخَ فِي الأَرْضِ ، مَا أَنْبَتَتْ شَيْئًا مَا بَقِيَتِ الدُّنْيَا ، فَيَنْهَشْنَهُ وَيَخْدِشْنَهُ ، حَتَّى يُفْضَى بِهِ إِلَى الْحِسَابِ. قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : إِنَّمَا الْقَبْرُ رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ ، أَوْ حُفْرَةٌمِنْ حُفَرِ النَّارِ .**أخرجه التِّرْمِذِي (٢٤٦٠) حديث رقم: ١٢٣١ في ضعيف الجامع .**

قال الشاعر:

يا من بدنياهُ اشتغلْ * وغَرَّهُ طولُ الأملْ**

الموتُ يأتيْ بغتةً * والقبرُ صندوقُ العملْ**

فما عليك – أيها الحبيب – إلا أن تتذكر هذه الحقائق :
عندما تولد يؤذن فيك من غير صلاة .. وعندما تموت يصلى عليك من غير أذان.. عندما تولد لا تعلم من الذي أخرجك من بطن أمك .. وعندما تموت لا تعلم من الذي حملك على الأكتاف.. عندما ولدت تغسَّل وتنظَّف .. وعندما تموت تغسَّل وتنظَّف .. عندما تولد يفرح بك والديك وأهلك .. وعندما تموت يبكي عليك والديك وأهلك...عندما كنت في بطن أمك كنت في مكان ضيِّق وظلمة .. وعندما تموت تكون في مكان ضيِّق وظلمة .. عندما وُلِدت يغطى عليك بالقماش لكي يستروك .. وعندما تموت تكفن بالقماش لكي يستروك عندما ولدت وكبرت يسألك الناس عن شهادتك وخبراتك .. وعندما تموت لا تسأل إلا عن عملك فقط .. فهل أعددت للسؤال جواباً ؟؟.

ويقال : إن الأرض تنادي كل يوم فتقول: يا ابن آدم تمشي على ظهري ومصيرك في بطني!!.
يا ابن آدم تأكل الألوان على ظهري ، وتأكلك الديدان في بطني! .
يا ابن آدم تضحك على ظهري، فسوف تبكي في بطني! .
يا ابن آدم تفرح على ظهري ، فسوف تحزن في بطني! .
يا ابن آدم تذنب على ظهري فسوف تعذَّب في بطني!.

كان عمر بن الخطاب يتمثل:

لا شيء مما ترى تبقى بشاشته * * * يبقى الإله ويودي المال والولد

لم تغن عن هرمزٍ يوماً خزائنه * * * والخلد قد حاولت عاد فما خلدوا

ولا سليمان إذ تجري الرياح له * * * والإنس والجن فيما بينها ترد

أين الملوك التي كانت لعزتها * * * من كل أوبٍ إليها وافد يفد

حوض هنالك مورود بلا كذبٍ * * * لابد من ورده يوماً كما وردوا

وكان الحسن يقول: ابن آدم إنك تموت وحدك، وتبعث وحدك، وتحاسب وحدك.ابن آدم: لو أن الناس كلهم أطاعوا الله وعصيت أنت لم تنفعك طاعتهم، ولو عصوا الله وأطعت أنت لم تضرك معصيتهم.ابن آدم: ذنبك ذنبك، فإنما هو لحمك ودمك وإن تكن الأخرى فإنما هي نار لا تطفأ وجسمٌ لا يبلى ونفسٌ لا تموت. **حلية الأولياء ٣/١٥٥.**

- فيا ترى هل أعددت نفسك لأول ليلة في قبرك ؟ .

روى عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مَالِكٍ ، عَنِ الْبَرَاءِ بن مالك رضي الله عنه قَالَ : " كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فِي جِنَازَةٍ ، فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى الْقَبْرِ جَثَا النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم عَلَى الْقَبْرِ ، قَالَ : فَاسْتَدَرْتُ فَاسْتَقْبَلْتُهُ ، قَالَ : فَبَكَى حَتَّى بَلَّ الثَّرَى ، ثُمَّ قَالَ : إِخْوَانِي ، لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلْ الْعَامِلُونَ ، فَأَعِدُّوا ".

وفي رواية : كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم فِي جَنَازَةٍ ، فَجَلَسَ عَلَى شَفِيرِ الْقَبْرِ ، فَبَكَى حَتَّى بَلَّ الثَّرَى ، ثُمَّ قَالَ : يَا إِخْوَانِي ، لِمِثْلِ هَذَا فَأَعِدُّوا. **أخرجه أحمد ٤/٢٩٤(١٨٨٠٣) و"ابن ماجة" ٤١٩٥ ، الألباني :حسن ، الصحيحة (١٧٥١).**

عن عَبْدَ اللّهِ بْنَ مَسْعُودٍ كَانَ يُحَدّثُ قَالَ قُمْت مِنْ جَوْفِ اللّيْلِ وَأَنَا مَعَ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ ، قَالَ فَرَأَيْت شُعْلَةً مِنْ نَارٍ فِي نَاحِيَةِ الْعَسْكَرِ قَالَ فَاتّبَعْتهَا أَنْظُرُ إلَيْهَا ، فَإِذَا رَسُولُ اللّــهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَإِذَا عَبْدُ اللّــهِ ذُو الْبِجَــادَيْنِ الْمُزَنِيّ قَدْ مَاتَ وَإِذَا هُمْ قَدْ حَفَرُوا لَهُ وَرَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّــهُ عَلَيْــهِ وَسَلّمَ فِي حُفْرَتِهِ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ يُدَلّيَانِهِ إلَيْهِ وَهُوَ يَقُولُ أَدْنِيَــا إلَــيّ أَخَاكُمَا ، فَدَلّيَاهُ إلَيْهِ فَلَمّا هَيّأَهُ لِشِقّهِ قَالَ اللّهُمّ إنّي أَمْسَيْت رَاضِيًا عَنْهُ فَارْضَ عَنْهُ . قَالَ يَقُولُ عَبْدُ اللّهِ بْنُ مَسْعُودٍ : يَا لَيْتَنِي كُنْتُ صَاحِبَ الْحُفْرَةِ. **سيرة ابن هشام ٥٢٧/٢.**

قال الشاعر :

تاللهِ لو عاشَ الفتى في دهرِه ** * ألفًا مِنَ الأعوامِ مَالِكَ أمرِهِ
متلذذًا معهم بكلِّ لذيذةٍ ** * متنعمًا بالعيشِ مدةَ عُمرِهِ
لا يَعتريهِ الهمُّ طولَ حياتِهِ ** * كلا.. ولا تَرِدُ الهمومُ بصدرِهِ
ما كانَ ذلكَ كلُّهُ في أنْ يَفي ** * بمبيتِ أولِ ليلةٍ في قبرِهِ

- هل أعددت نفسك لليلة توضع فيها في القبر فيرجع كل من كــان يشيعك ويبقى لك عملك ؟ .

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ ، قَالَ : سَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ يَقُولُ : قَــالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم:يَتْبَعُ الْمَيِّتَ ثَلاَثَةٌ ، فَيَرْجِعُ اثْنَــانِ ، وَيَبْقَى وَاحِدٌ ، يَتْبَعُهُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ وَعَمَلُهُ ، فَيَرْجِعُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ ، وَيَبْقَى عَمَلُهُ. **أخرجه أحمد ١١٠/٣(١٣١٠٤). والبُخَارِي ١٣٤/٨(٦٥١٤) و"مسلم" ٢١١/٨(٧٥٣٤) التِّرْمِذِيّ" ٢٣٧٩ .**

عندما يُقبِلْ عليك ليل أول يوم في قبرك ينادي عليك مالك الملـــك و ملك الملوك يقول لك,:يا ابن آدم رجعوا وتركوك في التراب دفنـــوك ولو ظلّوا معك ما نفعوك, ولمْ يبقَ لك إلا أنا الحيّ الذي لا أموت.

قال عطاء الخراساني : أرحم ما يكون الرب بعبده . إذا دخل في قبره و تفرق الناس عنه و أهله.

كان أبو سليمان الداراني يقول في دعائه : يا من لا يـــأنس بـــشيء أبقاه ، و لا يستوحش من شيء أفناه ، و يا أنيس كل غريب ، ارحم في القبر غربتي ، و يا ثاني كل وحيد ، آنس في القبر وحدتي .

إذا الرجال ولدت أولادها * * * وبليت من كبر أجسادها

وأصبحت أمراضها تعتادها * * * تلك زروع قد دنا حصادها

يروى أن الإسكندر مر بمدينة قد ملكها عدة ملوك وبادوا فقال هـــل بقي من نسل هؤلاء الملوك أحد فقيل له ما بقي منهم إلا رجل واحد يكون في هذا المقابر فدعا به فلما حضر قال له ما الذي حملك على لزوم المقابر قال أردت أن أميز عظام الملوك مـــن عظـــام عبيـــدهم فوجدت الكل سواء فقال له الإسكندر هل لك أن تتبعني فـــأحيي بـــك شرف أبائك إن كانت لك همة فقال إن لي همة عظيمة فإن كان بغيتي عندك تبعتك قال ما بغيتك قال حياة لا موت فيها وشباب ليس معـــه هرم وغنى ليس معه فقر وسرور ليس معه مكروه قال لـــيس ذلـــك عندي فقال وأي خير أرجوه عندك إن لم يكن عندك هـــذه الأشـــياء فامض لشأنك ودعني أطلب ذلك ممن يملكه وممن هو عنده ثم عـــاد إلى مكانه. **الاشبيلي : العاقبة في ذكر الموت ١٩٤.**

- هل أعدت نفسك لليلة قد فارقت فيها أموالك وأحبابك وكل ما تملك ؟

أخرج الدِينَوري وابن عساكر عن كُمَيل بن زياد قال: خرجت مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه فلما أشرف على الجبَّان التفت إلى المقبرة فقال: يا أهل القبور، يا أهل البِلى، يا أهل الوحشة: ما الخبر عندكم؟ فإن الخبر عندنا قد قُسمت الأموال، وأُيتمت الأولاد، واستُبدل بالأزواج، فهذا الخبر عندنا؛ فما الخبر عندكم؟ ثم التفت إليَّ فقال: يا كُمَيل لو أُذن لهم في الجواب لقالوا: إنَّ خيرا لزاد التقوى. ثم بكى وقال: يا كميل، القبر صندوق العمل، وعند الموت يأتيك الخبر. **المجالسة وجواهر العلم ١٤٨/٣ ، أخرجه ابن عساكر (٣٥١/٥٠).**

قال البستي :

لكل شيء إذا ما تم نقصان * * * فلا يغر بطيب العيش إنسانُ
هي الأمور كما شاهدتها دولٌ * * * من سرَّه زمنٌ ساءته أزمانُ
وهذه الدار لا تبقي على أحد * * * ولا يدوم على حال لها شانُ

- هل أعددت نفسك لليلة توضع فيها فيضمك القبر ضمة تختلف منها أضلاعك ؟ .

عَنْ عَائِشَةَ. عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قال:إن لِلْقَبْرِ ضَغْطَةً وَلَوْ كَانَ احَد نَاجِيا مِنْهَا نَجَا مِنْهَا سَعْدُ بْنُ مُعَاذ. **أخرجه أحمد ٥٥/٦ .**

وعَنْ نَافِعٍ عَنِ ابْنِ عُمَرَ عَنْ رَسُولِ اللَّه صلى الله عليه وسلم قَالَ:هَذَا الَّذِى تَحَرَّكَ لَهُ الْعَرْشُ وَفُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَشَهِدَهُ سَبْعُونَ أَلْفًا مِنَ الْمَلاَئِكَةِ لَقَدْ ضُمَّ ضَمَّةً ثُمَّ فُرِّجَ عَنْهُ. **أَخْرَجَهُ النسائي ١٠٠/٤ ، وفي**

"الكبـرى" ٣١٩٣ . قال الحسن: تحرك له العــرش فرحًــا بروحــه.

انـظر: السيرة النـبوية لأبـي شهبة (٤٤٣/١).

قال الشاعر :

ضعوا خدي على التراب ضعوه * ومن عفـر التراب فوسـدوه**

وشقوا عنـه أكفاناً رقاقاً * وفي الرمس البعيد فغيـبوه**

فلو أبصرتـمـوه إذا تقضت * صبيحة ثالث أنـكرتموه**

وقد سالت نـواظر مقلتيه * على وجناته وانـفض فوه**

ونـاداه البلا هذا فلان * هلموا فانـظروا هل تعرفوه**

حبيبـكم وجاركم المفدى * تقادم عهده فنـسيتموه**

دخل قيس بن أبي حازم على أحد خلفاء بني أمية ، فقال الخليفة : ما لنا نكره الموت ، ونحب الحياة ، يا أبا حازم ؟ قال : لأنكــم عمــرتم الدنيا ، وخربتم الآخرة ، فتكرهون أن تنقلوا من العمار إلى الخراب .

- هل أعددت نفسك لليلة توضع فيها في قبرك وتعاد روحــك إلـــى جسدك لتسأل عن ربك وعن دينك وعن نبيك ؟ .

عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ ، قَالَ:خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فِي جِنَازَةِ رَجُلٍ مِنَ الأَنْصَارِ ، فَانْتَهَيْنَا إِلَى الْقَبْرِ ، وَلَمَّا يُلْحَــدْ ، فَجَلَــسَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وَجَلَــسْنَا حَوْلَــهُ ، وَكَــأَنَّ عَلَــى رُؤُوسِنَا الطَّيْرَ ، وَفِي يَدِهِ عُودٌ يَنْكُتُ بِهِ فِي الأَرْضِ ، فَرَفَعَ رَأْسَــهُ ، فَقَالَ : اسْتَعِيذُوا بِاللهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ ، مَرَّتَيْنِ ، أَوْ ثَلاَثًا ، ثُمَّ قَــالَ : إِنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا ، وَإِقْبَالٍ مِنَ الآخِرَةِ ، نَزَلَ إِلَيْهِ مَلاَئِكَةٌ مِنَ السَّمَاءِ ، بِيضُ الْوُجُوهِ ، كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ الشَّمْسُ

، مَعَهُمْ كَفَنٌ مِنْ أَكْفَانِ الْجَنَّةِ ، وَحَنُوطٌ مِنْ حَنُــوطِ الْجَنَّــةِ ، حَتَّـــى يَجْلِسُوا مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ ، فَيَقُولُ : أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ، اخْرُجِــي إِلَــى مَغْفِرَةٍ مِنَ اللهِ وَرِضْوَانٍ ، قَالَ : فَتَخرُجُ تَسِيلُ كَمَا تَسِيلُ الْقَطْرَةُ مِــنْ فِي السِّقَاءِ ، فَيَأْخُذُهَا ، فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدَعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّى يَأْخُذُوهَا ، فَيَجْعَلُوهَا فِي ذَلِكَ الْكَفَنِ ، وَفِي ذَلِكَ الْحَنُوطِ ، وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَطْيَبِ نَفْحَةِ مِسْكٍ وُجِدَتْ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ ، قَالَ : فَيَصْعَدُونَ بِهَا ، فَلاَ يَمُرُّونَ ، يَعْنِي بِهَا ، عَلَى مَلأٍ مِنَ الْمَلاَئِكَةِ إِلاَّ قَالُوا : مَــا هَــذَا الرُّوحُ الطَّيِّبُ ؟ فَيَقُولُونَ : فُلاَنُ بْنُ فُلاَنٍ ، بِأَحْسَنِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانُوا يُسَمُّونَهُ بِهَا فِي الدُّنْيَا ، حَتَّى يَنْتَهُــوا بِهَــا إِلَــى الــسَّمَاءِ الــدُّنْيَا ، فَيَسْتَفْتِحُونَ لَهُ ، فَيُفْتَحُ لَهُمْ ، فَيُشَيِّعُهُ مِنْ كُلِّ سَمَاءٍ مُقَرَّبُوهَــا إِلَـــى السَّمَاءِ الَّتِي تَلِيهَا ، حَتَّى يُنْتَهَى بِهِ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ ، فَيَقُولُ اللهُ ، عَزَّ وَجَلَّ : اكْتُبُوا كِتَابَ عَبْدِي فِي عِلِّيِّينَ ، وَأَعِيــدُوهُ إِلَــى الأَرْضِ ، فَإِنِّي مِنْهَا خَلَقْتُهُمْ ، وَفِيهَا أُعِيدُهُمْ ، وَمِنْهَا أُخْرِجُهُمْ تَــارَةً أُخْــرَى ، قَالَ: فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ ، فَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ ، فَيَقُولاَنَ لَهُ : مَنْ رَبُّكَ ؟ فَيَقُولُ : رَبِّيَ اللهُ ، فَيَقُولاَنِ لَهُ : مَا دِينُكَ ؟ فَيَقُولُ : دِينِيَ الإِسْلاَمُ ، فَيَقُولاَنِ لَهُ : مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ ؟ فَيَقُولُ : هُــوَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم ، فَيَقُولاَنِ لَهُ : وَمَا عِلْمُكَ ؟ فَيَقُولُ : قَرَأْتُ كِتَابَ اللهِ ، فَآمَنْتُ بِهِ وَصَدَّقْتُ ، فَيُنَادِي مُنَادٍ فِي الــسَّمَاءِ : أَنْ صَدَقَ عَبْدِي ، فَأَفْرِشُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ ، وَأَلْبِسُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى الْجَنَّةِ ، قَالَ : فَيَأْتِيهِ مِنْ رَوْحِهَا وَطِيبِهَا ، وَيُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدَّ بَصَرِهِ ، قَالَ : وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ حَسَنُ الْوَجْهِ ، حَسَنُ الثِّيَــابِ ، طَيِّــبُ

الرِّيحِ ، فَيَقُولُ : أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُرُّكَ ، هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ ، فَيَقُولُ لَهُ : مَنْ أَنْتَ ؟ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ يَجِيءُ بِالْخَيْرِ ، فَيَقُولُ : أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحُ ، فَيَقُولُ : رَبِّ أَقِمِ السَّاعَةَ حَتَّى أَرْجِعَ إِلَى أَهْلِي وَمَالِي.

قَالَ : وَإِنَّ الْعَبْدَ الْكَافِرَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا ، وَإِقْبَالٍ مِنَ الآخِرَةِ ، نَزَلَ إِلَيْهِ مِنَ السَّمَاءِ مَلاَئِكَةٌ ، سُودُ الْوُجُوهِ ، مَعَهُمُ الْمُسُوحُ ، فَيَجْلِسُونَ مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ ، حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ ، فَيَقُولُ : أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْخَبِيثَةُ ، اخْرُجِي إِلَى سَخَطٍ مِنَ اللهِ وَغَضَبٍ ، قَالَ : فَتُفَرَّقُ فِي جَسَدِهِ ، فَيَنْتَزِعُهَا كَمَا يُنْتَزَعُ السَّفُّودُ مِنَ الصُّوفِ الْمَبْلُولِ ، فَيَأْخُذُهَا ، فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدَعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ ، حَتَّى يَجْعَلُوهَا فِي تِلْكَ الْمُسُوحِ ، وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَنْتَنِ رِيحِ جِيفَةٍ وُجِدَتْ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ ، فَيَصْعَدُونَ بِهَا ، فَلاَ يَمُرُّونَ بِهَا عَلَى مَلأٍ مِنَ الْمَلاَئِكَةِ إِلاَّ قَالُوا : مَا هَذَا الرُّوحُ الْخَبِيثُ ؟ فَيَقُولُونَ : فُلاَنُ بْنُ فُلاَنٍ ، بِأَقْبَحِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانَ يُسَمَّى بِهَا فِي الدُّنْيَا ، حَتَّى يُنْتَهَى بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا ، فَيُسْتَفْتَحُ لَهُ ، فَلاَ يُفْتَحُ لَهُ ، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : (لاَ تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلاَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ) ، فَيَقُولُ اللهُ ، عَزَّ وَجَلَّ : اكْتُبُوا كِتَابَهُ فِي سِجِّينٍ ، فِي الأَرْضِ السُّفْلَى ، فَتُطْرَحُ رُوحُهُ طَرْحًا ، ثُمَّ قَرَأَ : (وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ) ، فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ ، وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ ، فَيَقُولاَنِ لَهُ : مَنْ رَبُّكَ ؟ فَيَقُولُ : هَاهْ ، هَاهْ ، لاَ أَدْرِي ، فَيَقُولاَنِ لَهُ : مَا دِينُكَ ؟ فَيَقُولُ : هَاهْ ، هَاهْ ، لاَ أَدْرِي ، فَيَقُولاَنِ لَهُ : مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ ؟ فَيَقُولُ : هَاهْ ، هَاهْ ، لاَ أَدْرِي ،

فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ : أَنْ كَذَبَ ، فَافْرِشُوا لَهُ مِنَ النَّارِ ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى النَّارِ ، فَيَأْتِيهِ مِنْ حَرِّهَا وَسَمُومِهَا ، وَيُضَيَّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ ، حَتَّى تَخْتَلِفَ فِيهِ أَضْلاَعُهُ ، وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ قَبِيحُ الْوَجْهِ ، قَبِيحُ الثِّيَابِ ، مُنْتِنُ الرِّيحِ ، فَيَقُولُ : أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُوءُكَ ، هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ ، فَيَقُولُ : مَنْ أَنْتَ ؟ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ يَجِيءُ بِالشَّرِّ ، فَيَقُولُ : أَنَا عَمَلُكَ الْخَبِيثُ ، فَيَقُولُ : رَبِّ لاَ تُقِمِ السَّاعَةَ. **أخرجه أحمد ٤/٢٨٧(١٨٧٣٣) و"أبو داود" ٣٢١٢ و٤٧٥٣ و"ابن ماجة" ١٥٤٨ و"النَّسائي" ٤/٧٨ ، وفي "الكبرى" ٢١٣٩.**

قال المتنبي :

أبني أبينا نحن أهل منازل * * * أبداً غراب البين فيها ينعقُ
نُبقي على الدنيا وما من معشرٍ * * * جمعتهم الدنيا فلم يتفرقوا
أين الأكاسرة الجبابرة الأولى * * * كنزوا الكنوز فلا بقين ولا بقوا
من كل من ضاق الفضاء بجيشه * * * حتى ثوى فحواه لحدٌ ضيق
خرسٌ إذا نودوا كأن لم يعلموا * * * أن الكلام لهم حلالٌ مطلقُ

- هل أعددت نفسك لليلة توضع فيها في القبر فيصير لك إما روضة من رياض الجنة وإما حفرة من حفر النار؟ .

قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : إِنَّمَا الْقَبْرُ رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ ، أَوْ حُفْرَةٌ مِنْ حُفَرِ النَّارِ.**أخرجه التِّرْمِذِي (٢٤٦٠)** .

قال أبو غالب : كنت أختلف إلى أبي أمامة الباهلي بالشام ، فدخلت يوماً على فتى مريض من جيران أبي أمامة وعنده عم له وهو يقول : يا عدو الله ، ألم آمرك ؟ ألم أنهك ؟ فقال الفتى : يا عماه لو أن الله دفعني إلى والدتي : كيف كنت صانعة بي ؟ قال : تدخلك الجنة .

قال : الله أرحم بي من والدتي ، وقبض الفتى ، فدخلت القبر مع عمه ، فلما أن سواه صاح و فزع . قلت له مالك ؟ قال : فسح له في قبره ، و ملئ نوراً .

قال الشاعر :

ما للمقابر لا تجيب * إذا دعاهن الكئيب**
حفر مسقفة عليهن * الجنادل والكثيب**
فيهن ولدان وأطفال * وشبان وشيب**
كم من حبيب لم تكن * نفسي بفرقته تطيب**
غادرته في بعضهن * مجندلاً وهو الحبيب**
وسلوت عنه وإنما * عهدي برؤيته قريب**

روي عن سلمان الفارسي رضي الله عنه أنه قال ما من يوم إلا وملك الموت ينادي يا أهل الدنيا عجلوا عجلوا لأن أهل القبور محبوسون من أجلكم اتركوا ما جمعتم وخربوا ما بنيتم الويل لكم إن أدرككم الموت على هذه الحالة زينتم الدور ونسيتم القبور. **ابن الجوزي : بستان الواعظين ١٥٦.**

- هل أعددت نفسك لليلة توضع فيها في قبرك ويبكي أهلك عليك ولو بكوا طول عمرهم ما رجعت إليهم؟ .

مات الحسن ابن الحسين من أولاد على ابن ابي طالب رضي الله عنه وأرضاه وكان عنده زوجة وأطفال وكان في الشباب ، الحسن ابن الحسين مات فجأة ، نقلوه إلى المقبرة فوجدت عليه امرأته وحزنت حزنا لا يعلمه إلا الله ، خذت أطفالها وضربت خيمة حول القبر (وهذا ليس من عمل الإسلام ولولا أن مؤرخو الإسلام ذكروه

ما ذكرته) ضربت خيمة حول القبر وأقسمت بالله لتبكيا هي وأطفالها على زوجها سنة كاملة ، هلع عظيم وحزن بائس ، وبقيت تبكي فلما وفت سنة أخذت إطناب الخيمة وحملتها وأخذت أطفالها في الليل ، فسمعت هاتفا يقول لصاحبه في الليل : هل وجدوا ما فقدوا ؟ هل وجدوا ما فقدوا ؟ فرد عليه هاتف آخر قال : لا ، بل يئسوا فانقلبوا . **إحياء علوم الدين ٤/٤٨٧.**

روى ابن عبد البر في : "**المجالسة وجواهر العلم ٣/٤٠٨**" عَنْ مكِّيِّ بْن قُمَيْرٍ عَنْ جَعْفَرِ بْنِ سُلَيْمَانَ ، عَنْ مَالك بْنِ دينَارٍ ؛ أَنَّهُ قَالَ:

أَتَيْتُ الْقُبُورَ فَنَادَيْتُهَا * أَيْنَ الْمُعظَّمُ وَالْمُحْتَقَرْ**

وَأَيْنَ الْمُدِلُّ بِسلْطَانِهِ * وَأَيْنَ المزكَّى إِذَا مَا افْتَخَرْ**

قَالَ : فَنُوديتُ منْ بَيْنِهَا وَلَمْ أَرَ أَحَدًا :

تَفَانَوْا جَمِيعًا فَمَا مُخْبِرٌ * وَمَاتُوا جَمِيعًا وَمَاتَ الْخَبَرْ**

تَرُوحُ وتغدو بنَاتُ الثَّرى * فَتَمْحُوا مَحَاسِنَ تِلْكَ الصُّوَرْ**

فَيَا سَائِلِي عَنْ أُنَاسٍ مَضَوْا * أَمَا لَكَ فِيمَا تَرَى مُعْتَبَرْ**

- هل أعددت نفسك لليلة توضع فيها في قبرك ولن تمض ساعات عليك إلا وقد خرج منك النتن والعفن ؟.

كان عمر بن عبد العزيز أميراً من أمراء الدولة الأموية، يغيّر الثوب في اليوم أكثر من مرة، الذهب والفضة عنده، الخدم والقصور، المطاعم والمشارب، كل ما اشتهى وطلب وتمنى تحت يده، وعندما تولى الخلافة وأصبح مسئولاً عن المسلمين، انسلخ من ذلك كله؛ لأنه تذكّر أول ليلة في القبر.

وقف على المنبر، فبكى يوم الجمعة، وقد بايعتــه الأمــة، وحولــه الأمراء والوزراء، والعلماء، والشعراء، وقواد الجيش، فقال: خــذوا بيعتكم، قالوا: ما نريد إلا أنت، فتولاها، وهو كاره، فما مــرّ عليــه أسبوع، إلا وقد هزل وضعف وتغيّر لونه، ما عنده إلا ثوب واحــد، قالوا لزوجته: مال عمر؟ قالت: والله ما ينام الليل، والله إنه يــأوي إلى فراشه، فيتقلّب كأنه ينام على الجمر، يقول: آه آه، توليت أمــر أمة محمد يسألني يوم القيامة الفقير والمسكين، الطفل والأرملة.

قال له أحمد العلماء: يا أمير المؤمنين، رأيناك وأنت ولي مكة، قبل أن تتولى الملك، في نعمة وفي صحة وفي عافية، فمالــك تغيّــرت، فبكى حتى كادت أضلاعه تختلف، ثم قال لهذا العالم وهو ابن زيــاد: كيف يا ابن زياد، لو رأيتني في القبر بعد ثلاثة أيام، يوم أجرد عــن الثياب، وأتوسد التراب، وأفارق الأحباب، وأترك الأصحاب، كيف لو رأيتني بعد ثلاث.. والله لرأيت منظراً يسوءك.

قال الشاعر :

تفكر في مشيبك والمآب * ودفنك بعد عزك في التراب**
إذا وافيت قبراً أنت فيه * تقيم به إلى يوم الحساب**
وفي أوصال جسمك حين تبقى * مقطعةً ممزقةً الإهاب**
فلولا القبر صار عليك ستراً * لأنتنتِ الأباطح والرَّوابِ**
خُلقنا للممات ولو تُركنا * لضاق بنا الفسيح من الرحاب**
ينادي في صبيحة كل يوم * لدوا للموت وابنوا للخراب**

كان يزيد الرقاشي يقول لنفسه: "ويحك يا يزيد! من ذا يصلي عنــك بعد الموت؟ من ذا يصوم عنك بعد الموت؟ من ذا يترضى عنك بعــد

الموت؟ ثم يقول: أيها الناس! ألا تبكون وتنوحون على أنفسكم باقي حياتكم.. من الموت موعده.. والقبر بيته.. والثرى فراشه ..والدود أنيسه.. وهو مع هذا ينتظر الفزع الأكبر.. كيف يكون حاله؟!"، ثم بكي رحمه الله .

ومر رجل مسافر بغلام في صحراء فقال له يا غلام أين العمران فقال له اصعد الرابية تشرف على العمران فصعد فأشرف على قبور فرجع إليه فقال سألتك عن العمران فدللتني على القبور فقال إني رأيت أهل هذه الدنيا ينقلون إلى تلك ولم أر أحدا من تلك ينقل إلى هذه وإنما ينتقل من الخراب إلى العمران ولو سألتني عما يواريك ويواري دابتك لدللتك عليه. **الاشبيلي : العاقبة في ذكر الموت ١٩٤.**

قال الشاعر :

فِي ظُلْمَةِ القَبرِ لا أُمٌّ هناك ولا * * * أَبٌ شَفيقٌ ولا أَخٌ يُؤَنِسُني
فَرِيدٌ .. وَحِيدُ القبرِ، يا أَسَفاً * * * عَلى الفِراقِ بِلا عَمَلٍ يُزَوِّدُني

أيها الحبيب .. كم من ظالم تعدى وجار، فما راعي الأهل ولا الجار، بينا هو عقد الإصرار، حل به الموت فحل من حلته الأزرار فاعتبروا يا أولي الأبصار .

ما صحبه سوى الكفن، إلى بيت البلى والعفن، ولو رأيته وقد حلت به المحن، وشين ذلك الوجه الحسن، فلا تسأل كيف صار فاعتبروا يا أولي الأبصار .

أين مجالسة العالية؟ أين عيشته الصافية؟ أين لذاته الخالية؟ كم كم

تسفى على قبره سافية!! ذهبت العين وأخفيت الآثار فـاعتبروا يـا أولي الأبصار .

تقطعت به جميع الأسباب، وهجره القرناء والأتراب، وصار فراشـه الجندل والتراب، وربما فتح له في اللحد باب إلى النار فاعتبروا يـا أولي الأبصار.

نادم بلا شك ولا خفا، باك على ما زل وهفا، يود أن صافي اللـذات ما صفا، وعلم انه كان يبني على شفا جرف هار فاعتبروا يا أولـي الأبصار.

راجي عفو ربه

دكتور / بدر عبد الحميد هميسه

hamesabadr@yahoo.com

في : ٢٠ جمادى الأولى ١٤٣١ هـ = ٤ مايو ٢٠١٠ م